الأربعون العقديّة

الحديث الحادي والثلاثون

بلوغ الرُّبَى شرح حديث "وضحك النبي تعجباً"

وكتبه / أيمن إسماعيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلوغ الربى شرح حديث
ضحك النبي تعجب

أبو عبدالرحمن أيمن إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء:١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب٧١:٧٠).

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

* نص حديث الباب: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضى الله عنه- قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ -تعالى- يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ.

قال ابن مسعود: فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٩١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

– تخريج الحديث: أخرجه البخارى (٤٨١١)، باب قوله: ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [الأنعام: ٩١] ومسلم (٢٧٨٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار..

* أهم الفوائد المستنبطة من حديث الباب:

قد دل حديث الباب على إثبات صفة من صفات الله – تعالى – الخبرية، وهى صفة الأصابع، فهى صفة ثابته بالسنة وإجماع الأمة، على ما يليق بالله –عزوجل– من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تفويض.

ووجه الشاهد من حديث الباب:

فى قول ابن مسعود رضى الله عنه: " فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ ".

ووجه الدلالة:

قد روت عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أن رَسُول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ، فلما بيَّن ابن مسعود –رضى الله عنه– أنه صلى الله عليه وسلم ضْحَك تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِ اليهودى كان هذا منه إقراراً بثبوت صفة الأصابع لله تعالى.

* ومما يؤيد ثبوت صفة الأصابع لله عزوجل:

عن عَبْد اللهِ بْنَ عَمْرٍو –رضى الله عنهما– أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[1].

---

[1] أخرجه مسلم (٢٦٥٤)

*** وكذلك مما ثبت لله عزوجل فى هذا الباب صفة اليدين:**

أدلة الكتاب: - قال تعالى ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ (٧٥)) ﴾ [ص:٧٥] وجه الدلاله من الآية: أضاف الله تعالى صفه اليدين إلى نفسه إضافة صفة إلى موصوف،فدل أنها صفه لله تعالى.

٢- قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ (يس:٧١).

٣- قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠).

وجه الدلالة من هذه الآيات: أضاف الله -تعالى-صفه اليدين إلى نفسه إضافة صفة إلى موصوف، فدل أنها صفه لله تعالى. وقال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ قال ﴾ (المائدة :٦٤).

وجه الدلالة: أن الله - تعالى – أنما أنكر على اليهود القول بأنه يده مغلولة، ولم ينكر عليهم إثباتهم لأصل صفة اليد لله عزوجل.

*** أما أدلة السنة:**

فقد بلغت بعض الأحاديث درجة التواتر المعنوي في إثبات صفة اليدين.

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضى الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَرَأَ هَذِهِ - الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، وَرَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: " يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ " فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ "[1].

---

[1] متفق عليه.

٢- وعَنْ أَنَسٍ-رضى الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَجْمَعُ اللَّهُ المؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ[١].

٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ –رضى الله عنه- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ»[٢].

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ(٣).

٥- وقد روى أصحاب الصحيح أن رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – كثيراً ما كان يقسم بقوله " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ".

* الإجماع:

قال أبو بكر الإسماعيلي قال:

اعلموا - رحمكم الله - أن مذاهب أهل الحديث...يعتقدون بأن الله مدعو بأسمائه الحسنى، وموصوف بصفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيديه، ويداه مبسوطتان، بلا اعتقاد كيف.[٤] وممن نقل الإجماع على ذلك: أبو العباس ابن تيمية وأبو الحسن الأشعرى وأبو العباس ابن سريج والآجري والسجزى.[٥]

---

[١] متفق عليه.

[٢] متفق عليه.

[٣] متفق عليه.

[٤] سير أعلام النبلاء (٢٣٩/١٦)

[٥] وانظر مجموع الفتاوى (١٧٤/٤)ورسالة إلى أهل الثغر(ص/٧٢)والعلو للذهبى (١٢١٦/٢)والشريعة(١١٧٨/٣)

* معتقد أهل السنة والجماعة بأن لله-تعالى- يدين اثنتين: قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه عزَّ وجلَّ يسمع ويرى، وأنَّ له تعالى يدين مبسوطتين. وممن نقل هذا الإجماع: أبو زيد القيرواني وابن القطان[1].

* ومما ثبت لله -تعالى- فى هذا الباب: إثبات الأنامل:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضى الله عنه - قَالَ: أن رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: نَعَسْتُ فِي صَلَاتِي فَاسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي رَبِّ، قَالَهَا ثَلَاثًا " قَالَ: " فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ. [2] قال ابن منده: روي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلها عنهم أئمة البلاد، من أهل الشرق والغرب[3].

* ومما ثبت لله -تعالى- فى هذا الباب: إثبات الكف لله عزوجل:

عن أبي هُرَيْرَة -رضى الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ "(٤).

---

[1] رسالة إلى أهل الثغر (ص/ ٢٢٥) الجامع في السنن (ص/ ١٠٧) والإقناع في مسائل الإجماع (ص/٨٩)

[2] أخرجه أحمد (٢٢١٠٩) والترمذى (٣٢٣٥)وقال الترمذى:«هذا حديث حسن صحيح»، سألت محمد بن إسماعيل، عن هذا الحديث، فقال: «هذا حديث حسن صحيح».

[3] الرد على الجهمية (ص/٢٢٧)

[4] أخرجه مسلم (١٠١٤) ومالك فى الموطأ(٣٦٥١)وأحمد(٩٤٢٣) قوله صلى الله عليه وسلم: «فصيله» أي: ولد الناقة المفصول عن رضاعتها ؛ « يربيها » أي: ينميها لصالح بها بمضاعفة الأجر. وقوله: « فلوه» أي: مهره.

*** ومما ثبت لله –تعالى– فى هذا الباب: إثبات اليمين لله عزوجل:**

قال تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ (الزمر:٦٧) عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ–رضى الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ "[١].

***سؤال: هل لله – تعالى– شمال؟**

الجواب: روى عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ –رضى الله عنهما – أن النبى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: " يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ "(٢).

* وذهب فريق من العلماء إلى عدم جواز إطلاق لفظة "الشمال" فى حق الله، ومن هؤلاء: ابن خزيمة والخطابى والبيهقى، وذهبوا إلى تضعيف لفظة " الشمال " من ناحية السند والمتن[٣].

أ) من ناحية السند: أن ذكر الشمال قد تفرد به عمر بن حمزة عن سالم، وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكرا فيه الشمال، ورواه أبو هريرة – رضي الله عنه – وغيره عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال.

ب) من ناحية المتن: أنه قد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ " [٤] وممن نص على ذلك ابن خزيمة فى كتاب التوحيد (ص:٦٦).

---

[١] أخرجه مسلم (١٨٢٧).

[٢] رواه مسلم (٢٧٨٨)

[٣] الأسماء والصفات للبيهقي (ص/٣٤١)وأعلام الحديث للخطابي (٢٣٤٦/٤)

[٤] رواه مسلم (١٨٢٧)

* **والراجح –والله أعلم– هو إثبات لفظة "الشمال "**، وهو قول ابن جرير والدارمى وأبى يعلى؛ وذلك لورود ذلك فى الصحيح[1].

*** ومما يؤيد ذلك:**

ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضى الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الميزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ "[2].

فقوله:" وَبِيَدِهِ الأُخْرَى"، بعد أن ذكر اليمين يدل على أنها الأخرى ليست يميناً من ناحية الإسم.

* وأما ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم: "كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ": فالمراد به أن يديه – سبحانه وتعالى – الثنتين من حيث الوصف يمين مباركة، فيهما بركة فى العطاء والإنفاق والجود والسخاء، فلا نقص قد يتوهم فى شماله –عزوجل– كما هو حالص في شمائل البشر. ولذا فجاء النص بقوله صلى الله عليه وسلم:" كلتا يديه يمين " لئلا يتوهم نقص في صفة الله تعالى، فإن الشمال في حقنا أضعف من اليمين وأنقص.

***يؤيده:**

ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ –رضى الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ....، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ "[3].

---

[1] وانظر نقض الدارمى على المريسي (ص/ ١٥٥) وإبطال التأويلات لأبى يعلى (ص/ ١٧٦)؛

[2] متفق عليه.

[3] أخرجه الترمذى (٣٣٦٨) والحاكم (٦٤/١) وصحَّحه الحاكم.

فقوله: " وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ": يدل على أن تسمية اليدين باليمين متعلق بحصول البركة والخير فى كليهما. وقد كانت العرب تحب التيامن، وتكره التياسر، لما في اليمين من التمام، وفي اليسار من النقص ولذلك قالوا: "اليمن والشؤم".

فإذا كانت اليدان يمينين، كان العطاء بهما، أي تصب العطاء ولا ينقصها ذلك. ووصف اليدين بأن كلتيهما يمين لا يعني عند العرب أن الأخرى ليست يساراً، بل قد يوصف الإنسان بأن يديه كلتاهما يمين، كما قال المرَّار:

وإنَّ عَلَى الأمانَةِ مِنْ عَقِيلٍ... فَتىً كِلْتَا اليدَيْنِ لَهُ يَمِينَ.[1] ولا يعني أن لا شمال له، بل هو من كرمه وعطائه شماله كيَمِينه. قال أبو العباس ابن تيمية: قال غير واحد من العلماء لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة ناقصة في الفعل بيَّن النبي –صلى الله عليه وسلم– أن كلتا يمين الرب مباركة ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه، كما في صفات المخلوقين، مع أن اليمين أفضلهما. [2] وقال الشيخ محمد خليل هرَّاس: يظهر أنَّ المنع من إطلاق اليسار على الله عَزَّ وجَلَّ إنما هو على جهة التأدب فقط؛ فإنَّ إثبات اليَمِين وإسناد بعض الشؤون إليها كما في قوله تعالى: وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، وكما في قوله عليه السلام: " إنَّ يَمِين الله ملأى سحاء الليل والنهار"، يدل على أنَّ اليد الأخرى المقابلة لها ليست يَمِيناً.[3]

*** تنبيه مهم:**

قول ابن خزيمة: ولا يسار لخالقنا عز وجل، إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجل ربنا عن أن يكون له يسار! [4] نقول: والتعليل بهذا فيه نظر؛ إذ أننا لو طردنا مثل هذه القاعدة فى صفات الله – عزوجل – لاستوجب ذلك نفى صفات: " العين والوجه والساق واليد.." بدعوى أنها من صفات المخلوقين، ولكنَّ مدار الإثبات والنفى لا يقوم على مثل هذا التعليل،وإنما مداره على ثبوت الدليل، فإذا ثبت الدليل فى صفة ما توهم تشبيهاً فالقول بها فرضٌ مُحتَّم، ثم بعد ذلك يلزم الرجوع

---

[1] تأويل مختلف الحديث(ص/٢٤٧)

[2] مجموع الفتاوى (٩٢/١٧)

[3] ذكره فى تعليقه على (كتاب التوحيد) لابن خزيمة (ص/٦٦)

[4] التوحيد (ص/٦٦)

إلى قبلة هذا الباب التى ورد بها محكم التنزيل فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ (الشورى:١١).

* المخالفون لأهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين:

قد خالف المعتزلة وكثير من الأشعرية والماتريدية أهل السنة فى إثبات صفة اليد لله عزوجل، فقالوا: إن اليد بمعنى القدرة، وأحياناً يفسرونها بمعنى النعمة!! وقد نص التلمسانى على أن أكثر أئمة الأشعرية على تفسير اليدين بالقدرة. [١] ومنهم من أوَّل اليدين على أنهما القدرة والنعمة، كما هو قول الرازى، بل ومن غرائب التأويلات ما ذهب إليه السنوسي فى تفسير قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فجعل المارد بالتثنية فى الأية هى القدرة والنعمة، وأن إبليس قد خُلق بيد القدرة، دون يد النعمة!! [٢] ولم يقف الأمرعند ذلك، بل قام الأشاعرة ومن على نحلتهم يرمون المثبتين لها من أهل السنة بأنهم حشوية مجسمة، كما نص على ذلك البيجورى وغيره!! يقول ابن جزى: وورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه، كقوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) فحملها قوم على ظاهرها فلزمهم التجسيم، ويعزى ذلك إلى الحنبلية وبعض المحدثين!![٣].

* وقد دلل الأشاعرة على ما ذهبوا إليه من تأويلاتهم بما يلى:

١- قالوا اليد هى القدرة: فالعرب تقول " ما لي بهذا الأمر من يد "، أي من قوة وطاقة، قال تعالى) ﴿ أويعفوا الذي بيده عقدة النكاح ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال تعالى ﴿ أولي الأيدي والأبصار ﴾ [ص: ٤٥]

---

[١] وانظر بغية الطالب (ص/٢٧٥) وتحفة المريد (ص/١٣٢) وأبكار الأفكار (١/٣٥٩) ومن التأويل المذموم قول السيوطى عند قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره): (ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ﴿ والأرض جميعا ﴾ حال؛ أي: السبع؛ ﴿ قبضته ﴾ أي: مقبوضة له: أي: في ملكه وتصرفه!!! ﴿ يوم القيامة والسماوات مطويات ﴾ مجموعات؛ ﴿ بيمينه ﴾ بقدرته!!! تفسير الجلالين (ص/١٧٧)

[٢] وانظر أساس التقديس (ص/١٠٤)وشرح الوسطى (ص/٢٧٥) ومشكل الحديث وبيانه(ص/٤٣٧)

[٣] القوانين الفقهية(ص/١٣)

ب) وقالوا اليد هى النعمة: فالعرب تقول: " لفلان عندي يد أشكره عليها " أى نعمة، و يقال " أيادي فلان في حق فلان ظاهرة " والمراد النعم[1].

*** الرد على المخالف:**

فأما الأشاعرة فقد خالفوا فيما ذهبوا إليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة. بل قد خالفوا أئمتهم من كبار الأشاعرة الذين أثبتوا الصفات الخبرية لله عزوجل، ومنها اليد لله عزوجل. قال الباقلانى: وقد بيَّنا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل. [2] وكذلك قد حكى التلمسانى في بغية الطالب(ص:٢٧٨) القول بإثبات صفة اليد عن ابن كلاب والقلانسى والجوينى. قال أبو المعالي: ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليد والعين والوجه صفات ثابتة للرب، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل[3].

*** أما دعوى أن المراد باليد هى القدرة فمردود من أوجه:**

١- الوجه الأول: قال تعالى ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: الأية ٧٥] قد دل على تشريف وتكريم خُص به آدم - عليه السلام- دون غيره، وهذا التشريف لا يحصل إلا إذا كان قد خُلق بيد الله -تعالى- التى هى صفة من صفاته؛ إذ لو كانت اليد هى القدرة:

---

[1] وانظر مفاتيح الغيب (٤١٢/٢٦) وتحفة المريد(ص/١٥٧)ومتشابه القرآن للقاضى عبد الجبار (٢٣٠/١)والمنحة الإلهية فى أدلة الصفات الربانية (ص/٦١١)

[2] وانظر العلو للعلى الغفار (ص/٢٥٩)ومنهاج السنة (٢٧٧/١) أبو بكر الباقلاني.... هو محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي القاضي المشهور بالباقلاني. ناظر النصارى والروافض والمعتزلة والخوارج فألجمهم.. وكان في ذلك آية..

يَعُده عدد من أهل العلم بالمؤسس الثاني لمذهب الأشاعرة، ونظراً للبيئة التي عاش بها هذا الإمام فقد تأثر بأهل التأويل وعلم الكلام، وغرق معهم في بحر التحريف، ثم انتهى به الأمر إلى الرجوع إلى مذهب السلف، التأويلات التي يستعملها المؤولة. وله كتاب (الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلالة) وكتاب " التمهيد" نص فيهما على إثبات الكثير من الصفات الإلهية. وانظر موسوعة أهل السنة١(٤٤٥/١).

[3] التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٢٣/١)

أ- لما تحقق هذا التكريم والتشريف لآدم عليه السلام؛ إذ أن الجميع مخلوق بقدرته تعالى.

ب- لاحتج إبليس على ربه عزوجل؛ إذ أنه مخلوق بقدرة الله عزوجل، فلما حاد إبليس عن هذا الطريق إلى قوله ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾، دل ذلك أنه فهم أن آدم – عليه السلام- قد خُص بما لم يقع لغيره، وهو أنه خُلق بيد الله تعالى.

٢- الوجه الثاني: ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ-رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ " [١].

وفي هذا الحديث: إبطال لكل تأويل قيل في يد الله تبارك وتعالى؛ لأنه ذكر اليمين وأنها ملأى لا يغيضها نفقة، ثم ذكر اليد الأخرى. فهل يقال: قدرته الأخرى أو قوته الأخرى؟!![٢]

فإن قيل:

إنما أضيف ذلك إلى آدم ليوجب له تشريفا وتعظيما على إبليس، ومجرد النسبة في ذلك كاف في التشريف، كناقة الله، وبيت الله، فهذا كاف في التشريف، وإن كانت النوق والبيوت كلها لله؟

فالجواب: التشريف بالنسبة إذا تجردت عن إضافة إلى صفة اقتضى مجرد التشريف، فأما النسبة إذا اقترنت بذكر صفة أوجب ذلك إثبات الصفة التي لولاها ما تمت النسبة، فإن قولنا: خلق الله الخلق بقدرته، لما نُسب الفعل إلى تعلقه بصفة الله اقتضى ذلك إثبات الصفة، فكذلك هنا لما كان ذكر التخصيص مضافاً إلى صفة وجب إثبات تلك الصفة على وجه يليق بجلال الله وعظمته.[٣]

---

[١] متفق عليه.

[٢] تذكرة المؤتسي(ص/١٠٥)

[٣] لوامع الأنوار البهية (١/٢٣١)

٣- الوجه الثالث: لما أسندت بعض الأعمال إلى يد الله –عزوجل- على سبيل التشريف، كما فى قول موسى لآدم (خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ)، وقول آدم لموسى (كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ) دل ذلك على أنه يد حقيقية، فلو كانت اليد هى القدرة لم يكن لذكر هذه الفضائل فائدة؛ إذ أن كل شيء واقع ومتحقق بقدرة الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

*** أما دعوى أن المراد باليد هى النعمة، فمردود من أوجه:**

١- الوجه الأول: قَالَ تعالى ﴿ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص:٧٥)، فقد وردت اليد بصيغة التثنية، فيمتنع أن تكون على معنى النعمة، إذ أن نعم الله لا تحصى بعدد، قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل :١٨) قال الميموني: قال الإمام أحمد: من زعم أن يداه: نعماه، كيف يصنع بقوله ﴿ خلقت بيدي ﴾ [ص: ٧٥]، مشددة؟! [١] قال أبو الحسن الأشعرى: وإذا كان الله –عز وجل- إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: (بيدي) النعمة[٢].

قال أبو العباس ابن تيمية: فقوله: ﴿ لما خلقت بيديَّ ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد. ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى؛ فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية[٣].

***الوجه الثاني:** أن ما ورد فى لغة العرب من استعمال اليد بمعنى النعمة، كما فى قول عروة بن مسعود لأبي بكر في يوم الحديبية: " لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك ".

فجوابه من وجوه:

١- نعم تستعمل اليد فى لغة العرب على معنى " النعمة"، وهذا من باب السَّببيَّة: وهي كون الشيء المنقول عنه سببًا، ومؤثرًا في غيره؛ فالمرء إنما يعطى الخير ويبذل العطاء بيده، ولكن لا

---

[١] إبطال التأويلات (١/ ١٦٩)

[٢] الإبانة عن أصول الديانة (ص/٩٨)

[٣] مجموع الفتاوى (٦/٣٦٥)

يتصور إطلاق اليد ويراد بها النعمة إلا لمن كانت له يد على الحقيقة، كما أنه غير متصور أن يقال لشخص: " اجعلني بعينك "، ويقصد اجعلني برعايتك، إلا إذا كان هذا الشخص ذا عينين حقيقتين.

٢- ما ورد من متعلقات ذكر اليد في حق الله تعالى، من ذكر القبض والبسط والهز واالأصابع والأنامل والكف، فمثل هذا لايكون إلا ليد على الحقيقة، على ما يليق به سبحانه. قال عثمان بن سعيد الدارمي: قد علمتَ أيها المريسي أن هذه تفاسير مقلوبة، خارجة من كل معقول لا يقبله إلا كل جهول.

فإذا ادعيت أن اليد عرفت في كلام العرب أنها نعمة، وقوة، قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل، غير أن تفسير ذلك يستبين في سياقة كلام المتكلم حتى لا يحتاج له من مثلك إلى تفسير....[1]

*** فترتب على ذلك:**

أن القول بتأويل اليدين بالقدرتين أو النعمتين غير جائز، لأن التثنية في ﴿ بِيَدَيّ ﴾ يبطل القول بالتأويل؛ لأن التشديد تحقيق في التثنية، وتخصيص التثنية في نعم الله وقدرته ليس له معنى يصح، لأن قدرة الله واحدة لا حدود لها، ونعمه كثيرة لا تحصى، فلا يصح تأويل ﴿ بِيَدَيّ ﴾ بقدرتي أو بنعمتي، لعدم جواز انحصار قدرة الله ونعمه في عدد.

*** كذلك مما يرد تأويل اليدين على معنى القدرة والنعمة:**

١- قوله تعالى عن آدم –عليه السلام – لما ذكر خلقه ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا أضاف الفعل إلى الفاعل، وعدِّى الفعل إلى اليد بحرف الباء، كقوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال: فعلت هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله: فعلت،

---

[1] نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد(ص/٣٩)

كافٍ في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة، ولست تجد في كلام العرب ولا العجم إن شاء الله تعالى أن فصيحًا يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها[1].

٢- ما ورد في قول ابن عمر رضى الله عنهما- لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾، قال ابن عمر: " وَرَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ "، وفي رواية "ويقبض أصابعه ويبسطها ": فقد أشار النبي —صلى الله عليه وسلم — بيده قبضاً وبسطاً، والقدرة لا تقبض ولا تبسط، وكذا يقال في النعمة. فإشارته صلى الله عليه وسلم أفادت تحقيق الصفة المذكورة، ودلت على أن يده - سبحانه وتعالى- صفة له على الحقيقة، على ما يليق به، دون أن يوجب ذلك لأصحابه —رضى الله عنهم- شبهة التمثيل. قال ابن القيم: ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط، والخلق باليدين وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، وكون المقسطين عن يمينه.[2]

*** وأما قولهم:**

بالإمساك عن الأحاديث التي نصت على إثبات صفة اليدين، مع الإيمان بها، واعتقاد أن الظاهر منها غير مراد!![3].

فجوابه: نعم، يؤمن أهل السنة بصفات الله تعالى، وأما القول بأن الظاهر منها غير المراد ففيه تفصيل: أ) فإن كان المقصود بالظاهر هنا هو إثبات الصفة ما يليق بالله تعالى، فهذا القول مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ فقد دلت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة على إثبات صفة اليدين

---

[1] وانظرالرسالة المدنية (ص/١١) والتأويل خطورته وآثاره(ص/٥٢)

[2] مختصر الصواعق المرسلة (ص/٤٠٥)

[3] وقد نص القاضي عبد الجبار في كتابه متشابه القرآن (ص/١٩) على أن أخذ نصوص الصفات على ظاهرها كفر. وانظرالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٤٢/٩) وكشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح(٤/٥)

لله تعالى، وأن ظاهرها مراد. ب) وإن كان المقصود بالظاهر هنا ما قد يفهم من إثبات الصفات لله -عزوجل- على نحو المشابهة لصفات المخلوقين فلا شك أننا ننفى ونرد هذا الظاهر، مع إثبات أصل الصفة لله -تعالى-على ما يليق به، فلا يحملنا هذا الظاهر الفاسد على نفى الصفات، كما هى طريقة النفاة[1].

*وأما قولكم: " واعتقاد أن الظاهر منها غير مراد "!! فهذا مما يخالف إجماع الأمة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بلغك أن في كتاب الله أو في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو عن أحد من أئمة المسلمين: أنهم قالوا: المراد باليد خلاف ظاهره، أو الظاهر غير مراد. [2]

قال الذهبي: المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولَّدة، ما علمت أحداً سبقهم بها. قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. [3]

لقد كان السلف كانوا يعلمون معاني الصفات، ويفرقون بينها، بحسب ما دلت عليه مما تعرفه العرب في لسانها، فالعلم غير الحياة، والإتيان غير الإستواء على العرش، واليد غير الوجه، وهكذا سائر الصفات، فمعاني الصفات معلومة من لسان العرب ولغتها، كما هو متواتر النقل عن الإمام مالك وغيره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

ولو كانوا يؤمنون باللفظ المجرّد من غير فهم لمعناه لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.[4]

وقد خاطبنا الله – تعالى – بلسان عربي مبين وبما نفهمه ونعقل معناه. والأصل في الكلام أن يجرى على ظاهره، فنحن نعلم معاني صفات الرب سبحانه، ولا نعلم كيفيتها ونقطع بأنها لا تماثل صفات المخلوقين، ولم يزل الأئمة يذكرون كلمة الإمام مالك، والتى تقال فى كل صفة من صفات

---

[1] ونظير ذلك ما قوله ابن الجوزى وهو يبرر نفيه لهذه الصفات: " فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال ". وانظر دفع شبه التشبيه (ص/١٠٥)

[2] مجموع الفتاوى (٣٦٧/٦)

[3] مختصر العلو (ص/٢٧٠)

[4] مجموع الفتاوى(٤١/٥، ٤٢) لذا فمن الغلط البيِّن ما نص عليه السيوطى بقوله: "وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها!! وانظر الإتقان في علوم القرآن(٢٠/٢) ومسالك أهل السنة فيما أُشكل من نصوص العقيدة(٧٣/٢)

الله عزوجل: فمعانيها غير مجهولة، وكيفيتها غير معقولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة. فهذا هو منهج أهل السنة في صفات الباري تعالى. والله أعلم.

***وكذا يقال هنا:**

أن القول بحمل الأيات التى أثبتت صفة اليدين لله – تعالى– على المجاز، فهذا وإن استقام مع ظاهر الأدلة التى أثبتت اليد، فكيف يستقيم ذلك مع الأدلة الأخرى التى ذكرت متعلقات هذه اليد من ذكر البسط بها والقبض والهز، كما هو وارد فى حديث الباب، وكذلك ذكر الأصابع والأنامل والكف واليمين والشمال؟!! فكل ذلك لا يكون إلا ليد حقيقية لله –عزوجل– على ما يليق بجلاله وعظمته.

*** وأما تأويلهم صفة الأصابع: أنها " النعمة "؛ استنادًا إلى قول قَالَ الرَّاعِي يَصِفُ رَاعِيًا:**

ضَعِيفُ العَصَا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَه... عَلَيْهَا إِذا مَا أَجْدَبَ الناسُ إِصْبَعاً والاصبع الأثر الحسن، يقال للراعي الحسن الرعية للإبل الجميل الأثر فيها: إن له عليها إصبعاً[1].

* **فجوابه:** قد روى أَنَس –رضى الله عنه – أن رَسُول اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ "[2].

فلو كانت الأصابع هى النعمة، لكان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله، ولكان القلب محفوظاً بتينك النعمتين، فلأي شيء دعا بالتثبيت؟! [3]

* **ومما يؤيده أنها أصابع على الحقيقة:** ما روى جَابِر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يَقُولُ بِهِ

---

[1] البيت فى اللآلئ (٥٠، ٧٦٤)، وانظر لسان العرب (١٩٣/٨) ومجمل اللغة (٥٤٩)

[2] رواه الترمذى (٢١٤٠) وقال: هذا حديث حسن.

[3] وانظر الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (٥٢/١) وتأويل مختلف الحديث(ص/٣٠٢)

هَكَذَا»[1] وفى رواية ابن منده قال: وصف سفيان الثوري بالسبابة والوسطى فحركهما،وهذا حديث ثابت باتفاق.[2]

*قلت: فى إشارة النبي – صلى الله عليه وسلم- حال ذكره للأصابع دلالة على أنها صفة لله على الحقيقة، على ما يليق به سبحانه، فتصان الأذهان عن الخيالات الباطلة، وتقف الأفكار عن الظنون العاطلة[3].

ولذا تراهم لما عجزوا عن توجيه حديث (يحمل الأرض على إصبع، وكذا على إصبع) على ما يوافق تأويلهم؛ لأن الإصبع هنا لا يستقيم أن يكون بمعنى النعمة، فقد عمدوا إلى إنكار الحديث.

*** وأما رمى المخالفين لأهل السنة المثبتين للصفات بأنهم حشوية مجسمة!![4].**

فجوابه: كما قال ابن القيم: كم ذَا توسلتم بِلَفْظ الْجِسْم والتجسيم للتعطيل والكفران. وجعلتموه الترس ان قُلْنَا لكم؛ الله فَوق الْعَرْش والاكوان. قال خليل هراس: فلقد كانت شبهة التجسيم من أعظم أسباب الضلال في باب الصفات. فقد جعلها المعطلة عرضة مانعة لهم من القول بالإثبات، ونصبوها صخرة عاتية يحطِّمون عليها صريح الأحاديث ومحكم الأيات، واتخذوا منها ترساً يحتمون به مما يوجه إليهم من طعنات[5].

---

[1] أخرجه الحاكم (٤١٣٠)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[2] وانظر الرد على الجهمية (ص/٤٧) ومذهب أهل التفويض (ص/٤٣٠)

[3] ***قلت:*** وأما حكم الإشارة في أحاديث الصفات فقد بيَّناه وفصَّلناه فى شرحنا على حديث "البشارة شرح حديث الإشارة "

[4] الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمُّون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا .كذبًا منهم وافتراء . حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثُمَامة بن أشرس من رؤساء الجهمية: «ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسى حيث قال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا». وانظر الفتوى الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى (٥/١١٠)

[5] الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية (٢/٥٤٥)

* ثم يقال لهؤلاء الذين ينفون عن الله –عزوجل– صفة اليد خشية التجسيم والتشبيه: – أى تشبيه يتصور فى يد تطوى السماوات وتقبض على الأرضين؟!! – أى تشبيه يتصور فى يد ما السماوات السبع والأرضين السبع إليها إلا كخردلة في يد شخص؟!! [1]

* أى تشبيه يتصور فى يد ورد فيها أن الله –عزوجل– يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ؟!! حقاً وصدقاً ويقيناً نقول ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

*** ومن شبهاتهم:**

أن اليدين جوارح وأعضاء، فلو أثبتنا ذلك لله –تعالى– للزم أن يكون متبعضاً متركباً ذا أبعاض وجوارح وأعضاء!! *وجواب ذلك من وجوه: ١– إذا كانت اليد جزءً وبعضاً للمخلوق فمثل هذا مما لا يقال فى حق الله عزوجل؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] وقياس صفاته على صفات المخلوق قياس فاسد الاعتبار؛ لأنه قد صادم الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٢– أن نفى صفة اليد بدعوى أن إثباتها مستلزم للأبعاض والأجزاء فى حق الله – تعالى– هو نفى مبنى على دعوى باطلة؛ لأنه خوض فى تصور كيفية الصفة، والسلف إنما تعاملوا مع نصوص الصفات من ناحية تفسير معانيها، دون الخوض فى كيفيتها، ونصوصهم فى ذلك متكاثرة متواترة.

---

[1] رواه الطبري في تفسيره (٣٠٢١٢) وعبد الله فى السنة (١٠٩٠) عن ابن عباس –رضى الله عنهما–قال: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم). وقد نقل الألباني تصحيحه عن ابن تيمية ولم يتعقبه. وقال الشيخ سليمان بن عبد الله; كما في "إبطال التنديد" (ص/ ١٧٠) ; "وهذا الإسناد في نقدي صحيح". وقال الشيخ ناصر بن حمد الفهد في كتابه (تنبيهات على كتب تخريج كتاب التوحيد) (ص/٩٤): (الحديث حسن على أقل الأحوال). * وهذا موقوف له حكم الرفع، فمثل هذا مما لا يُعرف بالرأى، وهذا تشبيه للنسبة بالنسبة، وليس تشبيهاً للكف بالكف؛ لأن الله لا يشبه صفاته شيء كما لا يشبه ذاته شيء، ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" سترون ربكم كما نرون القمر..."

الوليد بن مسلم قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث: فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيفية[1].

وقولهم: "أمروها كما جاءت بلا كيف ": إنما هو نفى للعلم بكيفية الصفات، دون نفى حقيقة الصفة. إذن فالكلام فى الكيف على سبيل التفصيل والتوصيف من القول على الله – تعالى – بغير علم. قال أبو العباس ابن تيمية: واعتقاد الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لا يكِّيفون ولا يمثِّلون صفات الله –تعالى– بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه – سبحانه وتعالى[2].

* ومن عجيب تأويلهم:

١– قالوا عَنْ حديث الباب: ليس ضحك –صلى الله عليه وسلم– وتعجبه وتلاوته الآية تصديقاً لكلام الحبروإقراراً له على إثبات صفة الأصابع لله تعالى، بل هو رد لقوله وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده، فإن مذهب اليهود التجسيم، ففهم منه ذلك! [3]

* وجواب ذلك من وجوه:

١– روي البخاري عن ابن مسعود –رضى الله عنه – أنه قال: «فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ " [4]، ولا شك أن الراوى أعلم بما روى. وقال ابن أبى عاصم: قلت لأبي الربيع: فضحك تصديقاً؟ قال: نعم. وقال يحي بن سعيد: وكان فضيل بن عياض يزيد فيه عن منصور: " فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لقول الحبر؟ قال: نعم.[5]

---

[1] انظر الاعتقاد للبيهقى (ص/١١٨) وشرح السنة للبغوي (١ /١٧١)

[2] مجموع الفتاوى (٣/١٣٠)

[3] إكمال المعلم (٨/ ٣١٦)

[4] رواه البخارى (٧٥١٣)

[5] السنة لابن أبى عاصم (ص/٢٢٣)

٢- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما ضحك تعجباً، لأن ما قاله اليهودى جاء موافقاً لما هو ثابت فى شريعة الإسلام من إثبات الصفات -ومنها الأصابع- على ما يليق بالله - عزوجل - من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تفويض. فجاء خبر الحبر دالاً على اتفاق الشرائع المنزلة من عند الله -تعالى- على إثبات الصفات على ظاهرها، على ما يليق بعظمة الله.

* وأما ما تأوله المتأولون لهذا النص فهو نتاج ومثال لمن يعتقد ثم يستدل، لذا يجده مضطراً لمثل هذه التأويلات التى يغنى ذكرها عن الرد عليها. فهى - وللأسف- عقول أنهكها داء عضال وهو أن: " لازم إثبات الصفات مشابهة الخالق للذوات "، فراحت تتبع نصوص الصفات الواضحة للي أعناقها حسب ما جرهم إليه منهج التنزيه القائم على تعطيل ما وصف الله - تعالى- به نفسه. وكم يمتطون مراكب التأويل قاصدين سراب التنزيه، حتى تحط رحالهم فى ظلمات التعطيل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).

*** ثم يقال:**

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يغضب لنفسه قط، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل، فأنَّى له -على ما زعمتم- أن يسمع الباطل ولا يغضب لله عزوجل، وينكر هذا المنكر؟!!

٢-وكذا قالوا:

ما نص عليه الرازى تأويلاً لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ..." قال: ويدل على تأويله وجوه: أنه يلزم أن يكون أصبعاه فى أجوافنا مع أنه على العرش عند المجسمة!! [1]

[1] وانظرأساس التقديس (ص/١٣٦) وجناية التأويل على الفاسد العقيدة الإسلامية (ص/٥٢)

*** وجواب ذلك أن يقال:**

أولاً: أن أهل السنة فى حل من هذه الإلزامات الباطلة، لأنهم أحسنوا فهم المراد من دلالات النصوص الشرعية، وإنما العيب فيمن كان معطوباً فى فهمه ثم أى ليلزم الناس بإلزامات لم يقل بها أنس قبله ولا جآن. قال شارح الطحاوية: ويجب أن يعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه فهو لقصور فهمه ونقص علمه.[1]. وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً؛؛؛ وآفتهُ مِنْ الفهم السّقيم

٢- ثانياً: أن قوله صلى الله عليه وسلم: " بين أصبعين " لا يلزم من البينية المماسة، فالسحاب قال الله عز وجل فيه: ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [البقرة:١٦٤]، إذاً السحاب بين السماء والأرض، والسحاب ليس ملاصقاً للسماء وليس ملاصقاً للأرض، ولم يلزم من ذكر البيَّنية أن يكون السحاب مماساً للأرض ولا مماساً للسماء. ويقال: بدر بين مكة والمدينة رغم تباعد ما بينها وبينهما،وإذا كان هذا واقع فى شأن المخلوقات دون أن يستلزم مماسة، فكيف فى شأن الخالق عزوجل؟؟!! فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول..

تم بحمد الله.

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية(ص/٢٥٦)

هذا الكتاب منشور في